صورة الحرب في شعر قيس بن الخطيم

أحمد صالح الزعبي

الملخص

صوّر قيس بن الخطيم الحروب التي خاضتها قبيلته في الجاهليّة، ويدرس هذا البحث صورة الحرب في شعر ابن الخطيم؛ حيث كان للحرب ومتعلقاتها حضورٌ لافت في شعره، فانتزع منها رموزاً توحي بأفكاره ومعانيه وتعبّر عن مشاعره وأحاسيسه، وجعل منها صوراً حسيّة، فربط بين صورتي الحرب والنّار، والحرب والمرأة، والحرب والنّاقة. وقد تكررت بعض الأدوات الحربية في شعره كالسيف والدرع والرمح بوصفها صوراً جزئيّة من الصورة الكلّيّة للحرب وتحمل دلالات معنويّة مرتبطة بواقع الحياة الجاهلية.

الكلمات المفتاحية: قيس بن الخطيم، صور الحرب، الأدوات الحربيّة.

Portrayal of War in the Poetry of Qais Ibno El Khateem

Ahmad Saleh Alzoubi

Abstract

The portrayal of the wars fought by his tribe against other tribes constitutes a significant portion of Qais Ibno El khateem's poetry. This study examines his portrayal of war with emphasis on his depiction of its themes and its tools. In his treatment of war Ibno El Khateem created numerous symbols which reflect his beliefs, his perceptions, and his feelings . Moreover, Ibno El Khateem transformed these symbols into sensory imagery that reflect life. In this context, he selected particular imagery to stress the analogy between war and fire, war and his woman, and war and his she-camel. Besides, images of the weapons of war known in his time such as the sword, the armor, and the spear frequently recur in his poetry, and constitute part of the whole picture of war that he depicts. These sensory images reflect meaningful aspects of the real life in Arabia in the pre-Islamic period (Al Jahillyah).

Key Words: Qais Ibn El Khateem, images of war, War's Tools

المقدّمة

تعدّ الحرب مظهراً بارزاً من مظاهر الحياة العربية قبل الإسلام، وكانت العرب تعظّم البطولة والشجاعة والفروسية؛ فكثرت بينها الحروب والأيام والوقائع، وذلك يرجع لأسباب كثيرة أهمها حبّ العربي وتقديسه للحرب، وإشباع غرائزه، وتلبية لنداء داخلي يحثه عليها، هذا بالإضافة إلى طبيعة البادية القاسية، وانتشار ظاهرة الأخذ بالثأر[١]، وإلى "مجموعة القيم والأعراف التي تهيّأ لها أن تصبح بمرور الزمن عرفاً ثابتاً مما دفع الشاعر أن يتبوأ المكانة الأولى في قبيلته فأصبح صوتها المؤثر، والمدافع عنها، والذاب عن أحسابها وأنسابها والمفتخر بمآثرها وأمجادها"[٢].

وقد واكب الشعر تلك الحروب والأيام والوقائع وكان للشعراء دور كبير في تسجيلها، ووصفها، وبيان نتائجها؛ هذا بالإضافة إلى أنّ بعض أولئك الشعراء كانوا فرساناً، ومن هنا عدّ شعرهم وثيقة تأريخية ترصد الحدث، وتسجّل تفاصيله، وتكشف عن نتائجه، وكثر عندهم شعر الحرب، الذي يُصوّر المعارك التي دارت بين القبائل؛ حيث يقول ابن سلام الجمحي: "وإنّما كان يكثر الشعر بالحروب التي بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج، أو قوم يغيرون ويغار عليهم، والذي قلل شعر قريش أنهم لم يكن بينهم ثائرة، ولم يحاربوا، وذلك الذي قلل شعر عُمان وأهل الطائف"[٣]، ويقول ابن رشيق: "وكان الكلام كله منثوراً، فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعرافها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأمجاد، وسمحائها الأجواد؛ لتهز أنفسها إلى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم، فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام"[٤].

ولعلّ هذا ما دفع كثيراً من الشعراء الجاهليين إلى الاهتمام بتصوير الحرب تصويراً فنياً دقيقاً وعميقاً. و"مما لا ريب فيه أنّ ثمة فرقاً بين الحرب في الواقع المعاين المنظور والحرب في الخيال الشعري، وقد استمد الشعراء تجربتهم الفنية في تصوير الحرب من واقعهم ولكنها انمازت عنه؛ لأنها تحولت إلى تشكيل فني مدهش عبر سياقات لغوية تأويلية"[٥].

وكان قيس بن الخطيم[٦] أحد أولئك الشعراء، الذين أجادوا في وصف الوقائع والأيام، وتصويرها تصويراً فنياً دقيقاً، خصوصاً تلك التي دارت بين قبيلته الأوس والقبائل الأخرى كالخزرج[٧]؛ إذ لم يترك صغيرة ولا كبيرة من شؤون تلك والوقائع الأيام والحروب إلاّ رصدها، وسجلها بكل تفصيلاتها، وبين أسبابها ودوافعها ونتائجها، وهو يعلم أنّ الحرب قبيحة، ويدرك أنّ "أولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى"[٨]؛ لكنّه يُجبر على خوض غمارها، والاقتراب من نيرانها المستعرة. وهو يعلم أيضاً أنّ الحرب مرّة المذاق مدمرة قاهرة؛ حيث تزهق أرواح، وتسبى نساء، وتنهب أموال، وتغنم غنائم، ويكثر فيها الثكل واليتم والفقد، فهو يكرهها، ولكنه كان يرغم عليها، فيستقبلها ببسالة وشجاعة وإقدام وقد تسربل ثوب المحارب البطل، حيث يقول[٩]

فَإِذْ لم يَكُنْ عَنْ غَايةِ المَوتِ مَدْفَعٌ فَأَهلاً بهَا إِذْ لَمْ تَزَلْ فِي المَرَاحبِ

ويقول[١٠]:

متى يأتِ هذا الموتُ لا تَبْقَ حَاجّةٌ لِنفسِيَ إلاّ قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَها

الدراسة

إنَّ دراسة موضوع معيّن في ديوان شعر يتطلب من الباحث قراءة متأنية واعية للقصائد جميعها؛ لأن الشعر يمثل صورة واضحة للقيم الفنية والتعبيرية التي تسهم في الكشف عن جوانب مهمة من حياة الشاعر، والواقع الاجتماعي الذي عاش فيه، والظروف الموضوعية والذاتية التي تعكس ذلك الواقع.

ويجد القارئ المُدقّق لديوان قيس بن الخطيم أنّ للحرب ومرادفاتها حضوراً واضحاً فيه؛ إذ تكرّرت لفظة (الحرب) سبع عشرة مرّة[١١]، ولفظة (اليوم) تسع مرّات[١٢]، ولفظة (القتال) ثلاث مرّات[١٣]، وذكرت الألفاظ: (المعترك)، و(الملحمة)، و(الوقيعة)، و(الكريهة)، و(الهياج) مرّة واحدة[١٤] للدلالة على الحرب والقتال، وهذا التكرار للفظة الحرب ومتعلّقاتها يتحّول عبر السياقات الشعرية في الديوان كلّه إلى عاطفة مشحونة بالإيحاء والتوتر، تكشف عن رؤية فكرية وأبعاد نفسية سيطرت على إحساس الشاعر وموقفه من معطيات الحياة وتفاعله مع متطلباتها، فيصبح اللفظ المكرر الذي طالما ألح على نفس الشاعر صورة منطبقة على الحالة الوجدانية التي يعيشها، فتكشف نظرته تجاه الحرب بوصفها قاهرة مدمرة.

ويرى الباحث من خلال القراءة الفاحصة لديوان ابن الخطيم أنّ ما يزيد على ثلثيه، قد جاء في وصف الحروب والأيام والوقائع التي نشبت بين قبيلته والقبائل العربية الأخرى وصفاً فنياً دقيقاً؛ فقد تحدّث عن مختلف مشاهد القتال، وبعض الأدوات التي تستعمل فيه، وكانت منتشرة في عصره كالسيوف، والسهام، والرماح، والدروع، والخيول، كما تحدّث عن مصير الخصوم بعد الحرب وما يحلّ بهم من السبي والقتل واليتم.

ولعلّ ما يبرّر الحديث عن الحروب والأيام في شعر ابن الخطيم هو أنّه عاش في فترة كثرت فيه الوقائع الحربية بين القبائل في جزيرة العرب، بالإضافة إلى قضيته الخاصة وهي قضية الثأر لجده وأبيه، اللذين ماتا مقتولين كما ذكرت الروايات التأريخية، فسجّل مآثر قومه وأمجادهم وانتصاراتهم، وافتخر بذاته في الأخذ بالثأر، ومن ذلك قوله[١٥]:

ثأرْتُ عَدِيّاً والخَطِيمَ فَلَمْ أُضِعْ ولايَةَ أَشْياءٍ جُعِلْتُ إزاءَهَا

ضَرَبْتُ بذي الزَّرَّيْنِ رِبْقَةَ مالَكٍ فأُبْتُ بنفْسٍ قد أَصَبْتُ شِفَاءَهَا[١٦]

طَعَنْتُ ابنَ عبدِ القَيْسِ طَعْنَةَ ثائِرٍ لها نَفَذٌ لولا الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا

مَلَكْتُ بها كَفّي فأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا يَرَى قائماً مِنْ خَلْفِها ما وَرَاءَهَا

وإنّيَ في الحَربِ الضَّرُوسِ مُوكَّلٌ بإقدامِ نَفْسٍ ما أُرِيدُ بَقاءَهَا

إذَا سَقِمَتْ نَفْسِي إلى ذي عَدَاوةٍ فإنّي بنصل السيف باغ دواءَها

ونُلقحُها مبسورةً ضَرزبيةً بأسيافِنا حتى نُذِلّ إباءَها[١٧]

فالشاعر في هذه الأبيات يفخر بنفسه، ويتحدّث عن شجاعته وفروسيته، وقوته في الأخذ بثأر جدّه ووالده، مشيراً إلى قتله ابن عبد القيس الذي قتل أباه[١٨]، مستخدماً الأدوات الحربية (بذي الزرين، وبنصل السيف، وبأسيافنا)، والأفعال الحركية (ضربتُ، وأصبتُ، وطعنتُ، وملكت، وأنهرتُ)، والتراكيب القوية المصورة للفعل والحركة (طعنة ثائر، ولها نفذ، وفتقها، والحرب الضروس، وإقدام نفس، سقمت نفسي، نلقحها مبسورة ضرزبية، نُذل إباءها) وكلّها تُبرز مدى إلحاح الشاعر على تحقيق أهدافه بالأخذ بالثأر، وإبراز شجاعته في النيل من أعدائه، واستعادة هيبته ووقاره ومجد أهله وأسرته؛ لأنّ ذلك لا يتحقق في أعراف العرب الجاهليين وتقاليدهم إلاّ بالثأر.

وقوله[١٩]:

دَعَوْتُ بَنِي عَوْفٍ لِحَقْنِ دِمَائِهِمْ فَلَمَّا أَبَوْا سامحتُ في حربِ حاطبِ[٢٠]

وَكُنْتُ امَرَأً لا أَبْعَثُ الحربَ ظَالِماً فلمّا أبوْا أَشعلتُها كلَّ جانِبِ

أَرِبتُ بِدَفْعِ الحَرْبِ حتّى رأيْتُهَا عنِ الدَّفْعِ لا تزدادُ غيرَ تقارُبِ[٢١]

فَإِذْ لم يَكُنْ عَنْ غَايةِ المَوتِ مَدْفَعٌ فَأَهلاً بهَا إِذْ لَمْ تَزَلْ فِي المَرَاحبِ

فَلَمّا رأيْتُ الحربَ حرباً تَجَرَّدَتْ لَبِسْتُ معَ البُرْدَينِ ثوبَ المُحَارِبِ

مُضَاعَفَةً يغْشَى الأناملَ فضلُها كأنَّ قَتِيرَيها عُيُونُ الجنادبِ[٢٢]

ففكرة الحرب ألحت على نفس الشاعر فاطرد بتكرارها ليحدث أثراً انفعالياً يعكس قيمة معنوية تشي بموقف الشاعر منها من خلال تنامي حركة الفعل المقترنة بروح (الأنا) (دعوتُ، أريتُ.. ليستُ) ويخلص إلى خوض غمار تلك الحرب فيصورها بفرسانها وعتادها وسلاحها وجوّها بما فيه من حرارة شديدة وغبار كثيف، ويبقى يتابع المشهد حتى بلغ بها نهايتها وأوقف المشاهدين على نتائجها، وهو بذلك يضع القارئ أمام مشهد درامي، يجعله يشاهد ببصره وقلبه ما يجري في ميدان القتال، معتمداً على أسلوب تصويري رائع فيجسّم المعنويات ويشخصها، ويلون الصور ويدبجها، ويحرك المشاهد بعنف يحكي عنف الحرب وحرارتها، ويختار موسيقى قوية تهزّ القلوب هزاً ويجعلها تتفاعل مع جوها العام المشحون بالمواجهة.

وقوله في يوم بعاث[٢٣]:

سَلِ المَرءَ عَبدَ اللهِ إِذْ فرَّ هلْ رأى كتائِبَنَا في الحَرْبِ كيفَ مِصَاعُهَا[٢٤]

ولوْ قَامَ لمْ يَلْقَ الأحبّةَ بَعْدَها ولاقى أسوداً هَصْرُها ودفاعُها[٢٥]

ونحنُ هزمنَا جَمْعَكُمْ بكَتِيبَةٍ تَضَاءَلَ منها حَزْنُ قَورَى وقاعُهَا

إذا هَمَّ جَمْعٌ بانْصِرَافٍ تعَطَّفُوا تَعَطُّفَ وِرْدِ الخَمِيسِ أطَّتْ رِبَاعُهَا(٢٦)

تركنا بُعاثاً يومَ ذلكَ مِنْهُمُ وقورى على رَغْمٍ شِباعاً ضِبَاعُها

فالشاعر يضعنا أمام مشهد تصويري قائم على عنصر المفارقة ضمن سياق التقابل المبني على ثنائية الصورة التي تعكس واقعين بما أفضت به نتيجة المعركة، هما واقع النصر، وقد تحقق بفعل بطولي على يد فرسان قبيلة الشاعر، وواقع الهزيمة والفرار الذي لحق بالأعداء وتعقب فلولهم.

ولا تكاد تختلف الصورة الآتية التي رسمها الشاعر عن صورتها السابقة إلا في إيراد مزيد من تفاصيل المواجهة وما آلت إليه من شعور بنشوة النصر بعد هزيمة الأعداء، فيقول(٢٧):

سَقَيْنا بالفضاءِ كؤوسَ حَتْفٍ بَنِي عَوْفٍ وإِخْوَتَهُمْ تَزِيدا

لَقِينَاهُمْ بِكُلِّ أخي حُرُوبٍ يَقُودُ وَرَاءَهُ جَمْعاً عَتِيدا(٢٨)

وَمُشْرِفَةَ التَّلائلِ مُضْمَرَاتٍ طَوَى أَحْشَاءَها التَّعداءُ قُودا(٢٩)

أَكُنْتُمْ تَحْسِبُون قِتالَ قَومِي كَأَكْلِكُمُ الفَغَايا والهَبِيدا(٣٠)

أَصابَ القَتْلُ سَاعِدَةَ بنَ كَعْبٍ وَغَادَرَ فِي مَجَالِسِهَا قُرُودا

وَقَدْ رُدَّ العَزائمُ فِي طَرِيفٍ وأقيالٍ يَصُوغُون الحَديدا

وينتزع ابن الخطيم من الحرب وهي إحدى مظاهر الحياة الجاهلية رموزاً تُوحي بأفكاره ومعانيه، وتُعبّر عن أحاسيسه وعواطفه، وبذا تتحوّل الحرب من كونها عنصراً معنوياً ومشهداً واقعياً جامداً إلى صورة محسوسة يقتضيها السياق والموقف الشعوري.

ومن تلك الصور الحسية التي عرضها الشاعر في قصائده صورة النار، والناقة، والمرأة.

الحرب/النار

لقد أكثر الشعراء الجاهليون من الربط بين صورتي الحرب والنار؛ ويبدو أنّ ذلك عائد إلى "فكرة الاشتعال والانطفاء، وهي ثنائية قائمة في صورة الحرب، أكثر الشعراء من استخدامها، وإذا كانت نار الحرب منتشرة وشائعة على الحقيقة عند العرب، فإنّ الشعراء استخدموا هذه البنية استخداماً مجازياً، حتى صارت لكثرة تكرارها قريبة من الاستخدام الحقيقي؛ إذ عرف عن العرب أنّهم كانوا يشعلون نار الحرب، وهي عادة كانت

عندهم، لكن ذلك لا يعني أنّ الشعراء كانوا يذكرون ذلك لمجرد الحقيقة؛ إنّما جاؤوا بالبناء الاستعاري المرتبط بالنار على أنّه بناء مجازي"[٣١].

وإنّ هذه الصورة المتقاربة بين الحرب والنار تدور حول فكرتين أساسيتين هما: "البدء بمستصغر الشر أي توسع دائرة الفتك من اللحظة المركزية الصغرى إلى أن تصبح دائرة كبرى تحرق أو تقتل كل من سقط فيها، والأخرى أنّ من يبدؤها أو يُسعرها لا يستطيع وقفها أو إطفاءها، ولا يسلم من أذاها أولئك البادئون والمسعرون، وفي المقاربة تهويل مقصود فنياً لتبيان تداعيات الحرب من لحظة الاشتعال التي لا يدرك تبعاتها إلاّ من جرّب أوارها"[٣٢].

يقول ابن الخطيم[٣٣]:

إنّ بني الأوسِ حينَ تَسْتَعِرُ الـ حَرْبُ لكالنار تأكلُ الحَطبا

إنّ بني الأوسِ معشرٌ صدقوا الـ ضربَ وسنُّوا الإساءَ والنَّدبا

فهو يرسم للحرب صورة حسية بصرية حركية، ويراها على هيئة نار مستعرة تأكل البشر، الذين شبّههم بالحطب، وهم وقود الحرب/النار، وقد شبه الشاعر قومه بالنار؛ ليظهر مدى فاعليتهم وبلائهم في الحرب؛ فالقارئ هنا "أمام نارين، الكبرى (الحرب)، والصغرى (بنو الأوس)، كما أنّنا أمام حطبين مأكولين، الأكبر (الإنسان بمطلقة)، والأصغر (الخصم)، والمفارقة المدهشة فنياً تتحقّق في الوظيفة المحسوسة المتأملة للنار الواقعية والأخرى الفنية، إنّها وظيفة الإهلاك المنوطة بها، وليست تلك الوظيفة الجمالية التي تنشر الضوء والدفء والأمن"[٣٤].

فابن الخطيم يرسم صورة فنية استعارية للحرب، ويجسّدها على شكل نار ملتهبة، وهذا الأسلوب الفني في وصف الحرب يأتي "تجسيداً عميقاً للدلالات النفسية والانفعالية التي تحملها الاستعارة "فالحرب تستعر" يمكن أن توحي بشكل جذري بالنار، لأنّ النار هي التي تستعر في الحقيقة، وليست الحرب، وقد قيض للشاعر ولغيره استخدام هذه البنية الاستعارية للتهويل والمبالغة التي تتناسب مع طبيعة الحرب التي تأتي على كل شيء، فالاستعارة تفتح آفاقاً للتعبير عن الرؤى الإنسانية، ولذلك فقد كان الشعراء الجاهليون ينزعون إلى تجسيد المجردات"[٣٥].

ويؤكد ابن الخطيم فكرة الحرب/ النار بصورتها المجازية المعبرة عما تؤول إليه من دمار وهلاك عندما تذكو نيرانها فيكون الإنسان ضحيتها فيقول[٣٦]:

وَقَد عَلِموا أَن مَتى نَنبَعِثْ عَلى مِثلِها تَذْكُ نيرانُها

وَلَولا كَراهَةُ سَفكِ الدِماءِ لَعادَ لِيَثرِبَ أَدْيانُها

فالحرب إذاً كما يُصوّرها الشاعر نار لاهبة مستعرة تأكل من يشعلها، وتأكل أيضاً الطرف الآخر، فهي حرب منشرة انتشاراً واسعاً وشمولياً تبدأ من شرارة لتمدّ وتتسع وتأكل الأخضر واليابس، فلا تبقي ولا تذر، وفيها "تتجلّى صورة العذاب التي يعقبها موت مؤكّد، إنّها تشوي البشر وتلوح أجسادهم وتحرقهم وتحولهم إلى رماد أو دخان لا قيمة له، فالحرب حينما تكون ناراً تفور بالبشر، وتقول هل من مزيد، والمأساة هي: أنّ وقودها بشر وأنّ

مشعلها بشر أيضاً، وهنا تكمن جماليات السخرية المرّة المؤلمة التي انبثقت من جو نفسي قد بلغ مداه في تأمّل الحقيقة وعبثية الموت الفوضوي، فتجاوز الواقع باعتباره منتجاً بشرياً ضرورة أقلقت الشاعر الجاهلي، فجدّ في رصد انقلاباتها وخلخلتها لعرى الصيرورة الاجتماعية، وتحويل الوجود الإنساني إلى هباء وانسحاق"[٣٧].

ويقول أيضاً[٣٨]:

وَكُنْتُ امْرَأً لا أَبْعَثُ الحربَ ظَالِماً فلمّا أبوْا أَشعلتُها كلَّ جانِبِ

أرِبْتُ بدفعِ الحربِ حتى رأيتُها عنِ الدفعِ لا تزدادُ غيرَ تقاربِ

فالشاعر يتخذ موقفاً يَبرز في ثنايا الصورة المجازية المعبرة عن فكرة الإشعال والحرق والدمار، وهو موقف فطري يدرك خطورة الحرب وتبعاتها فيخلد إلى الشعور بالأمن والسلام الذي يتلاشى أمام منطق النظم الاجتماعية الجاهلية المخالفة لذلك الشعور، فيدفع بنفسه لخوض غمار الحرب أخذاً بثأر أو شعوراً بظلم، ليكون الإنسان مشعلها ويكون الإنسان وقودها.

الحرب/المرأة

ربط كثير من الشعراء الجاهليين بين الحرب والمرأة، وقد أصبغوا على الحرب صفات المرأة؛ وذلك لاعتبارات كثيرة، واعتقادات أسطورية قديمة تجذرت في الخيال العربي منذ القدم، وقد قارب ابن الخطيم بين صورة الحرب وصورة المرأة، ووصفها بصفات أنثوية إنسانية؛ فهي عوان وولود، وقد "تجرّدت" و"لبست" و"شمّرت"، فيقول[٣٩]:

فَلَمّا رأيْتُ الحربَ حرباً تَجَرَّدَتْ لَبِسْتُ معَ البُرْدَينِ ثوبَ المُحَارِبِ

مُضَاعَفَةً يغْشَى الأناملَ فضلُها كأنَّ قَتِيرَيها عُيُونُ الجَنَادبِ

فهو يرسم للحرب صورة استعارية تشخيصية، ويراها على هيئة امرأة تتجرد من ثيابها "فَلَمّا رأيْتُ الحربَ حرباً تَجَرَّدَتْ" لتغوي الفارس القوي؛ فكانت ردة فعله نحوها بأن لبس فوق برديه ثوباً جديداً وهو الدرع "لَبِسْتُ معَ البُرْدَينِ ثوبَ المُحَارِبِ"؛ وذلك استعداداً لخوض تلك المعركة والقيام بواجباته نحوها.

ويقول[٤٠]:

سَلي مَنْ نَديمي في النَّدامى ومألفي ومنْ هو لي عندَ الصَّفاء خَدينُ

وأيُّ أخي حربٍ إذا هي شَمَّرت وَمِدْرَهِ خَصْمٍ بعدَ ذاك أكونُ

فالفعل الأنثوي يقدم الحرب بنسق متوافق مع واقع الخطاب الشعري، وهي المرأة الحقيقية المخاطبة (سلي) لينسجم مع صورة الفعل المعنوي ليشخص الحرب في صورة امرأة تشمّر عن ساعديها.

فالحرب إذاً "لم تعد شيئاً معنوياً بل تجاوزته إلى أن أضحت صورة حسّية؛ فإن كان الفعل "شمر" يستخدم في المجال الإنساني، فإنّه وضع في سياق جديد جعله للحرب، فالحرب لا تشمر في الواقع، وإنّما يمكن أن تمارس مثل هذا الفعل في بعده المجازي، وقد سوغ مثل هذا الاستخدام لقدرته على الكشف عن فاعليتها، فعندما تشمر الحرب فإنها تكشف عن يديها وساقيها وتصبح على هيئة إنسان يبدأ بالإعلان عن التوحش"[٤١] فتكون بفعلها الإغوائي مثاراً للأقدام والاقتحام والافتراس. ونجد الشاعر يفتخر ببطولاته الحربية حينما يلاقي أعداءه، وذلك بانتسابه للحرب بوصفها أختاً "وأيُّ أخي حربٍ" يحمل صفاتها ويكون متصالحاً معها وتساعده على قهر أعدائه والفتك بهم.

ويقول[٤٢]:

فهلاّ لَدَى الحربِ العوانِ صَبَرتمُ لوقعتنا والبأسُ صعبُ المراكبِ

ظَأرناكمُ بالبيضِ حتى لأنتمُ أذلُّ من السُّقبانِ بينَ الحلائبِ

فابن الخطيم يشخص الحرب، ويظهرها في صورة استعارية، تتجلّى فيها الحرب على هيئة أنثى، ويصبغ عليها صفة المرأة "العوان"، وهي التي ولدت بعد بطنتها الأولى، وهذا وصف لا يمكن أن يكون من ملازمات الحرب ولا من صفاتها؛ إذ إنّ الشاعر أراد أن يعمّق صورة الحرب وينقلها من إدراك معنوي إلى إدراك حسي؛ "لتشي بأنّها شديدة قوتل فيها كثيراً، فحينئذ يكون أبطالها مدربين على خوض غمراتها"[٤٣]. فالحرب "امرأة تتقلّب من مثالية الجمال الشكلي إلى مثالية القبح، إنّها منشغلة بتدمير الإنسان وإن تظاهرت في البدء بإبراز صفة العشقية ليتعلّق بها العاشق وتأسره، وهي تبطن داخل تلك الصفة كل معاني الحقد والكره؛ فهي في الحقيقة قبيحة الصورة والإحساس والفعل، وعنصر القتل هو الذي يتحكّم برغبتها وأفعالها، والشرّ لا يلد إلاّ شرّاً"[٤٤].

الحرب/الناقة

"تمثل الناقة في الأساطير الجاهلية ربة للحرب تلقح الأسنة والرماح" فتحمل وتدر[٤٥].

وقد قارب عدد من الشعراء الجاهليين بين الحرب والناقة، وهذه المقاربة لها ما يبررها؛ إذ أصبحت الحرب العصية ناقة ولوداً، تراض وتلقح وتنجب، وتصير الحرب حروباً متكاثرة متوالدة، يقول ابن الخطيم مفتخراً بقومه[٤٦]:

وإنّا إذَا ما مُمْتَرو الحربِ بَلّحُوا نُقِيمُ بأسْبادِ العَرينِ لواءَها[٤٧]

ونُلقحُها مَبْسورةً ضَرْزنيّةً بأسيافِنا حتى نُذِلّ إباءَها[٤٨]

فالشاعر يفخر بفرسان قومه، الذين يقيمون لواء الحرب بدهاء وذكاء وحنكة عندما يعجز خصومهم عن ذلك، مصوّراً الحرب بالناقة التي مسح العدو ضرعها لتدر فلم يفلحوا في ذلك، فأتى فرسان الأوس الأقوياء ولقحوا الناقة/الحرب بأسيافهم فذلت لهم وأصبحت بأيديهم. وتلقيح الفرسان للحرب له دلالتان، أولهما: إخضاعها والتحكّم في إرادتها، وثانيهما: الانتقام من العدوّ وإبادته، فمن يُلقحها هو الذي يحوزها؛ فدلالة التلقيح ترمز إلى قدرة من يُروِّض الحرب ويُذلّ عنفوانها ويُوجّهها كما يريد ولا يستطيع ذلك إلاّ المحاربون الأشداء"[٤٩]؛ فرسان قبيلة الشاعر المهرة والأكفياء في ترويض الحرب، وجعلها خاضعة لهم وفي صفهم؛ نظراً لقوتهم وبسالتهم ورباطة جأشهم.

وابن الخطيم في هذا النص يقارب بين الناقة والحرب في صورة فنية مدهشة، "وإذا كان ثمة مفارقة تنافرية بينها وبين الحرب إلاّ أنّ استدعاءها فنياً بدا مقاربة تستهدف تكثيف الفكرة في خيال المتلقي ليستوعب الحرب ونتائجها"(٥٠).

كما اهتم قيس بن الخطيم كغيره من شعراء الجاهلية بذكر أدوات الحرب والقتال في أغراض شعره المختلفة، بوصفها إحدى لوازم العصر وضروراته؛ حيث كانت القبائل العربية تستخدم أدوات حربية شتى كالسيوف، والدروع، والرماح، وغيرها، في الدفاع عن نفسها، وقد وردت هذه الأسلحة الحربية في أشعار الشعراء بصور متفاوتة، وباستخدامات متعددة؛ لدرجة أنّ بعض الشعراء استخدمها رموزاً شعرية.

ويجد القارئ المُدقّق لديوان ابن الخطيم أنّ لأدوات الحرب ومتعلّقاتها حضوراً لافتاً فيه بوصفها صورة جزئية من صورة الحرب الكلية؛ إذ تكرّرت لفظة (السيف) ومرادفاته المعنوية (كالرزين، والمضارب، والصفيح، والمشرفية، والبيض، واليماني، والعضب) ست عشرة مرة، ولفظة (الدروع) بلفظها الصريح أو بالكنية عنها أربع مرات، ولفظة (الرماح) ثلاث مرات.

وإنّ هذا التكرار لأدوات القتال ومتعلّقاتها لم يعد خاصية لغوية فحسب، بل إنّه يتحّول عبر النسق العلائقي، الذي توفّره السياقات الشعرية في الديوان كلّه إلى عاطفة مشحونة بالإيحاء والتوتر؛ لأنّ اللفظ المُكرّر صورة تعكس عن الحالة الوجدانية، التي تضغط على الشاعر، وتكشف نظرته للسلاح بوصفه أداة للقوة والشجاعة والبسالة، ووسيلة للدفاع عن الذات ومقارعة العدو.

أولاً: السّيوف

السيف من أكثر الأدوات الحربية حضوراً في شعر ابن الخطيم، وقد ورد في جميع أغراضه الشعرية وبنسب متفاوتة منها.

ولعلّ في تكرار لفظة (السيف) بلفظة صراحة، أو بالإشارة إليه من خلال ذكر مرادفه مرات متعددة ما يُؤكّد القوة والعزة والمجد؛ إذ يصبح السيف في النص رمزاً دالاً على هذه المعاني الإيجابية، كما يصبح السيف دواء يشفي سقم النفوس العليلة من أذى الأعداء كما يبدو في قوله: " إِذَا سَقِمَتْ نَفْسِي إلى ذي عَدَاوةٍ فإنّي بنصل السيف باغ دواءَها".

ويقول الشاعر في "يوم الربيع" (٥١):

وَلَولا كَرَاهَةُ سَفْكِ الدِّمَاءِ لَعَادَ لِيَثْرِبَ أَديانُهَا

وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ أنّ النَبِيـ تَ رَاسٍ بِيَثْرِبَ مِيزانُهَا

حِسَانُ الوُجُوهِ حِدَادُ السُّيو فِ يبتدرُ المجدَ شُبَّانُهَا

فابن الخطيم يمتدح شباب النّبيت وهم من الأنصار ومن الأوس، ويُشير إلى صفاتهم الحميدة ومناقبهم الفريدة، وخصالهم الرشيدة؛ فهم قوم عرفوا بالطيب والشهامة والكرم والمجد، وعرفوا أيضاً بالقوة والشجاعة

والإقدام، وقد عبّر الشاعر عن هذه المعاني من خلال الكنايات الواردة في قوله "حسان الوجوه" و"حداد السيوف"؛ وجعل يثرب المكان شاهدة على ذلك، عارفة بصفات رجالها وشبانها بصورة استعارية.

ويقول الشاعر في "حرب حاطب"(٥٢):

إذَا قَصُرَتْ أسْيَافُنا كَانَ وَصْلُها خُطَانا إلى أعدائِنا فنضاربِ

أُجَالِدُهُمْ يومَ الحديقةِ حَاسِراً كأنَّ يَدي بالسّيفِ مخراقُ لاعبِ

ويومَ بُعاثٍ أَسْلَمَتنا سُيُوفُنَا إلى نَسَبٍ في جِذم غَسَّانَ ثاقبِ

يُعَرَّينَ بيضاً حينَ نلقى عَدُونَا ويُغمدنَ حمراً نَاجِلات المَضَارِبِ

صَبَحناهُمُ شَهباءَ يَبْرُقُ بَيْضُها تُبِينُ خَلاخِيلَ النِّسَاءِ الهوارِبِ

أَصابتْ سَرَاةَ مِ الأغرَّ سُيوفُنا وغُودرَ أولادُ الإماءِ الحَواطِبِ

فالشاعر يتحدّث عن إحدى حروب قومه، مصوراً شجاعتهم وبسالتهم في دحر أعدائهم، ورد هجماتهم؛ إذ كانت القبائل العربية في الجاهلية تُغير على بعضها لأسباب مختلفة، ويُبين من خلال تلك الصورة الحربية المتكاملة مدى النشوة واللذة في الانتصار، والزهو والمتعة بتحقيق المجد والرفعة؛ إذ تطول خطاهم نحو أعدائهم حين تقصر أسيافهم" إذَا قَصُرَتْ أسْيَافُنا"، وتصبح تلك السيوف لصيقة بأيديهم كأنّها جزء منها لا تفارقها "كأنَّ يَدي بالسّيفِ مخراقُ لاعبِ"، فينزلون بها ضرب هام العدا "أجالدهم يوم الحديقة، ويوم بعاث" و"صَبَحناهُمُ شَهباءَ يَبْرُقُ بيضها"، و"أَصابتْ سَرَاةَ الأغرَّ سُيوفُنا"؛ فترفعهم تلك السيوف إلى حسب حي رفيع ثاقب بصير بالحرب، لا إلى حسب لئيم لا يصبر عليها ويفشل ويخور "أَسْلَمَتنا سُيُوفُنَا إلى نَسَبٍ في جِذم غَسَّانَ ثاقبِ".

والشاعر يكرر لفظة (السيف) في النص أربع مرات، ويسندها لضمير الجمع (نا) الدالة على قومه ثلاث مرات؛ ليبرز قوة بأسهم، وشجاعة فرسانهم، كما يرسم للسيوف صورة حسية لونية حركية، تعكس بسالتهم وإقدامهم "يُعَرَّينَ بيضاً حينَ نلقى عَدُونَا ويُغمدنَ حمراً نَاجِلات المَضَارِبِ"؛ فتلك السيوف البيضاء الحادة المصقولة تصبح حمراء مثلّمة ناحلة من شدة الضرب والعراك مع العدو، وهي صورة تُظهر الفخر والاعتزاز بالذات وبالقبيلة من جهة، وتكشف عن ضعف العدو وجبنه وانهزامه من جهة أخرى.

ويقول(٥٣):

وَإِنَّ سُيُوفَنَا ذَهَبَتْ عَلَيْكُمْ بَنِي شَرِّ الخَنَى مَهَلاً بَعِيدَا

وَيَأبَى جَمْعُكُمْ إلاّ فِرَاراً ويَأبى جَمْعُنَا إلاّ وُرُودَا

فما أبْقَتْ سُيوفُ الأوسِ منكم وَحَدُّ ظُبَاتِهَا إلاَّ شَرِيدَا

فهو يؤكّد مرة أخرى بأنّ سيوف قومه بتارة قاطعة، وأنّها رمز لقوتهم وشجاعتهم وإقدامهم ورفعتهم، ويشخص الشاعر في الصورة التقابلية التي قوامها السيف بين حال العدو حيث الهزيمة والفرار من أرض المعركة، وبين بسالة بني قومه حيث الشجاعة والقوة والإقدام "ويأبى جمعُنا إلا ورواداً" لتقوم سيوفهم بتحقيق فعل إرادتهم؛ ولذا نسب تلك السيوف لقبيلته بقوله: "فما أبْقَتْ سُيوفُ الأوسِ منكم" وكأنّها أصبحت خاصة بهم كسيوف الهند واليمن التي اشتهرت بها تلك البقاع. ونسبها في موضع آخر إليهم بقوله: "فلّهم حديد النبيت"[٥٤] والنبيت من الأنصار من الأوس.

ويقول مفتخراً بقبيلته[٥٥]:

أَبْلِغْ بَنِي جَحْجَبَى وَقَومَهُمُ خَطْمَةَ أَنّا وَرَاءَهُمْ أُنُفُ

وأنّنا دونَ مَا يَسومُهُمُ الأَعـ داءُ مِنْ ضَيْمِ خُطَّةٍ نُكُفُ

نُفْلِي بِحَدِّ الصّفيحِ هَامَهُمُ وَفَلْيُنَا هَامَهُمْ بنا عُنُفُ

فالشاعر يبعث رسالة لقبيلتي "جحجبى وخطمة"، وهما من قبائل الأوس، التي ينتمي إليها الشاعر، ويُؤكّد فيها للأعداء أنّهم قبيلة متّحدة متوحدة، شديدة الأنفة، ولديهم حمية ونخوة وشهامة، يسند بعضهم بعضاً "أَنّا وَرَاءَهُمْ أُنُفُ"، ويقفون متراصين أمام أعدائهم "وأنّنا دونَ مَا يَسومُهُمُ الأَعداءُ مِنْ ضَيْمِ خُطَّةٍ نُكُفُ"، وعندهم القوة والشجاعة في فلّ هام العدا بعنف وشدة ودونما رحمة. وقد اختار الشاعر لفظة (الصفيح) بدلاً من السيف؛ لأنّها تحمل دلالة القوة أكثر، وذلك من خلال إيقاعها الصوتي؛ فما في حرف الصاد من صفير وشدة تنسجم مع حدة ضرب هام الأعداء وفل رؤوسهم. كما لا يخفى ما في الكلمات (أُنُفُ، ونُكُفُ، وعُنُفُ) من إيقاع قوي يعكس قوة قبيلة الشاعر وفروسيتها وشجاعتها، وأنّ حرف الروي (الفاء المضمومة) يظهر علو هامات فرسان القبيلة، ورفعة قبائل أوس وسؤددها.

وقد كرّر ابن خطيم هذا الاستخدام للسيوف في غير موضع من الديوان للدلالة على قوة قبيلته والافتخار بانتصاراتهم على قبيلة الخزرج، التي لا تناظرهم بالقوة والشجاعة، حيث يقول[٥٦]:

مَعَاقِلُهُمْ آجَامُهُمْ ونِسَاؤُهُمْ وأَيْمانُنَا بِالمَشْرفيَّةِ مَعْقِلُ

كَأَنَّ رُؤوسَ الخزرجيينَ . إذ بَدَتْ كتائبُنَا تَتْرى معَ الصُّبحِ . حَنْظَلُ

فهو يعقد مقارنة بين قبيلته الأوس وقبيلة الخزرج أعدائهم في الجاهلية؛ ففي الوقت الذي يتخذ فيه الخزرجيون حصونهم وبيوتهم ونساءهم معاقل يحتمون بها، ويتمنعون بها يتخذ الأوس السيوف معاقل لهم يعتصمون بها ويذودون بها عن حياضهم، فالشاعر يجسّد السيوف على هيئة مكان يمتنع به المرء ويحتمي ويدافع به عن نفسه، ومن هنا يصبح السيف معادلاً للمعقل بوصفه مصدر حماية لصاحبه، ووسيلة أمن واستقرار له.

ويقول في موضع آخر[٥٧]:

صَرَمْتَ اليَوْمَ حَبْلَكَ مِنْ كَنُودَا لِتُبْدِلَ حَبْلَهَا حَبْلاً جَدِيدا

مِن اللاَّئِي إذَا يَمْشِينَ هَوْناً تَجَلْبَبْنَ المَجَاسِدَ والبُرُودَا

كَأنَّ بُطُونَهُنَّ سُيُوفُ هِنْدٍ إذا مَا هُنَّ زايَلْنَ الغُمُودَا

فهو يرسم صورة لأولئك النسوة الرقيقات الطويلات، اللواتي يمشين مشياً ليناً هادئاً بثياب مصبغة ناعمة، ويفصّل الشاعر في جزئيات تلك الصورة المركبة، فيصوّر أجسام النساء الرفيعة بسيوف الهند الحادة الدقيقة، وهذا استخدام جديد للسيف في شعر ابن الخطيم يختلف عن الاستخدامات السابقة؛ إذ يدخل (السيف) في إطار الصورة التشبيهية مستغلاً خبرته الحربية في رسم صورة جمالية استقاها منه وهي الحرب والقتال، ويخرج عن كونه أداة للقتل والفتك ورمزاً للقوة والشجاعة إلى كونه رمزاً للجمال الأنثوي الدال على نحالة الجسم ودقته وطول قامته، لتصبح تلك الأجسام الرقيقة الناعمة وقد تجردت من لباسهن سيوفاً ناصعة تجردت من أغمادها.

الدّروع

من الأدوات الحربية التي تكررت في شعر ابن الخطيم الدروع، وهي ما يرتديه المحارب الشجاع من الحديد الصلب أو الفضة، أو الفولاذ، ويعود اهتمام الشاعر بتلك الدروع لضرورتها في توفير الحماية والوقاية للمقاتل من ضربات خصمه وطعناته[٥٨]، وقد أورد الشاعر الدروع في مواضع عدّة بلفظها تارة وبالكناية عنها تارة أخرى أبرز من خلالها شجاعة المقاتلين من بني قومه وقوة بأسهم؛ إذ تلاشت أمامهم كلّ وسائل الوقاية، والحماية التي تمنعهم من أعدائهم، فغدا الأعداء بذلك أشلاء متناثرة بما حلّ بهم من قتل وتنكيل وفرار فيقول[٥٩]:

وتفَقّدُوا تِسْعِين مِنْ سَرَوَاتِكُمْ أشْباهَ نَخْلٍ صُرّعَتْ لِجُنوبِ

وسَلوا صَرِيحَ الكاهِنَيْنِ ومالكاً عن من لكم من دارع ونجيب

ففي أسلوبه الخطابي هذا يرسم الشاعر مشهداً يكشف فيه عن شعوره بنشوة الانتصار بأسلوب تشبيهي جعل من سراة الأعداء وقادتهم وسط هذه المواجهة أشباه نخل منصرمة، وقد ألقيت في مهب الريح، فما تنفعهم الدروع أو الدارعون أمام شدة المقاتلين وقوة فتكهم، وتظهر خبرة الشاعر الحربية في تأكيد فكرة النصر والهزيمة بتصوير كنائي تتلازم فيه المفردة مع دلالاتها المعنوية الدقيقة؛ فإذا دلت مفردة (الدارع)على السلاح ولابسه، فإن مفردة (المسبغين) في ساحة الوغى تعطي معنى شمولياً واسعاً تدل على تلك الدروع الواسعة التي تمّت وطالت واتسعت لتغطي جسد المحارب من الأعداء[٦٠]، وفي صورة حركية تشي بالقوة والجلبة والعنفوان لم يعد المسبغون قادرين على حماية أنفسهم، بل غدوا مستباحين أمام مقاتلي الأوس ومحاربيهم:

ألا أبلغْ بني ظفرٍ رسولاً فلَمْ نَذْلِلْ بيَثْرِبَ غَيْرَ شَهْرِ

أبحنا المسبغينض كما أباحتْ يَمانُونا بَني سَعْدِ بنِ بَكْرِ[٦١]

وثمة صورة تشبيهية أخرى يقدم الشاعر فيها مشهداً تصويرياً مركباً تتآزر فيه الصورة البصرية والحركية واللونية لتعبر عن شدّة الموقف أو حرارة اللقاء وسط مواجهة يشخص فيه الموت ليكون متوسطاً ذلك المشهد الرهيب، وقد تسربل المقاتلون بالدروع وتجهزوا بالسيوف فيقول:-

ومعترِكٍ ضَنْكٍ ترى الموتَ وَسْطَهُ مَشَيْنا له مشيَ الجِمَال المَصَاعِب

بخُرسٍ ترى المآذيّ فَوق جُلودهم وبيضاً نقاءً مِثْلَ لونِ الكواكب

فهمْ جُسُرٌ تحتَ الدروعِ كأنّهم أسودٌ متى تُنْضَ السيوفُ تُضَارب[٦٢]

وقد عمد الشاعر إلى استخدام الدروع بلفظها الكنائي (المآذيّ) تارة، وبلفظها الصريح تارة أخرى ليعبر عن صورتين متقابلتين تتلاءمان مع الجو العام للمواجهة، إحداهما تعبر عن شدّة الموقعة "ومعترك ضَنْك ترى الموت وسطه" والثانية شدة الثقة التي يتمتع بها الشاعر وفرسان قبيلته بان النصر حليفهم "مشينا له مشي الجمال المصاعب" وقد جاء استخدام الشاعر الدروع بصفتها الكنائية؛ حيث المآذيّ وهي الدروع اللينة السهلة التي لا تعيق حركة المقاتل ليبقى تحركه وسط القتال سهلاً متاحاً، ثم عاد ليستخدم الدروع بلفظها؛ لأن فاعليتها مع المقاتلين أصبحت معروفة بوصفها الكنائي السابق.

ثالثاً: الرماح

كان للرماح حضور واضح في شعر ابن الخطيم، فهو "آلة العطن في الحرب"[٦٣] وكانت العرب تقول: "اتق الرّمح فإنه رشاء المنيّة"[٦٤].

وقد شكلت صورة الرمح نسقاً ثقافياً تبلورت فيه رؤية المقاتلين المنبثقة من العرف الاجتماعي العام بوصفه أداة للطعن ومدعاة للفخر والتباهي، تبرز فيها شجاعة المقاتلين وشدّة بأسهم عند لقاء أعدائهم، وقد عبر الشاعر عن ذلك بقوله:

ونحنُ الفوارسُ يومَ الربي عِ، قد عَلمُوا كيفَ فرسانُها

جَنْبَنا الحِرابَ وراءَ الصري خِ حتى تقصَّفَ مُرَّانُها[٦٥]

فهو يفخر بفرسان بني قومه وسط معركة تمور بالحركة والصوت لتشكل بعداً إنسانياً وموقفاً بطولياً تقصّفت فيه الرماح، وانكسرت بأيدي المقاتلين في صورة كنائية تشي بمعاني الشجاعة والإقدام عند هؤلاء الفرسان؛ متجاوزاً بذلك حدود الذات لتتماهى مع رؤية جمعيّة قوامها المقاتلون من فرسان الأوس.

وقد أكّد الشاعر في مشهد آخر صورة الرماح المتقصّفة؛ لتؤكد المعاني الإنسانية نفسها، وهي تلح على ذاته وسط معمعة القتال، مستخدماً أسلوب الشرط المقترن بأسلوب التشبيه ليعمق ذلك الإحساس الجمعي المعبر عن روح الجماعة في سرعة تلبية النداء وحرارة القتال ونشوة الانتصار، وقد ربط الشاعر بين خبرته المستوحاة

من واقعه الاجتماعي ومشاهداته الحربية في تصوير يعجّ بالصوت وحركة الرماح، وتساقطها وقد انكسرت في أجساد الأعداء كأنها العسيب الذي يُقشِّر ويدق بأيدي النساء الشواطب حين يتناقلنه فيما ينهن لعمل الحصر، يقول:

رجال متى يدعوا إلى الموت يرقلوا إليه كإرْقالِ الجِمَالِ المَصَاعِبِ

تَرَى قِصَدَ المُرَّانِ تَهْوِي كأنّها تذرّع خِرْصان بأيدي الشواطب

وتبدو أن صورة الأدوات الحربية عند ابن الخطيم تتوافق مع كثير من الشعراء الفرسان في الجاهلية، ولا سيما ممن شاركوا مع قبائلهم في مقارعة أعدائهم فرسموا صوراً واقعية تكاملت فيها كل أنماط الصورة الحربية المعبرة عن المعاني الإنسانية التي ينشدونها ويفتخرون بها وتشكل رؤية عامة اتفق عليها الفكر الجمعي الجاهلي.

الهوامش

(١) أبو الرب، ابتسام، **صور الحرب وأبعادها الأسطورية في الشعر الجاهلي"**، رسالة ماجستير مخطوطة في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، ٢٠٠٦م، ص٣٠.

(٢) حمدان، كامل عبد ربه، **"الصورة البشعة للحرب في الشعر الجاهلي"، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية**، العددان (٣-٤)، المجلد (٦) ٢٠٠٧م، ص١٠.

(٣) الجمحي، ابن سلام **طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ص١٠١،١٠٠.**

(٤) القيرواني، ابن رشيق، **العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٨٣، ج١، ص١٦.**

(٥) الرفوع، خليل، "صورة الحرب في الشعر الجاهلي" **مجلة جامعة قطر للآداب**، ع٢٨، ٢٠٠٦م، ص٩٣.

(٦) **انظر ترجمته في كلّ من:**

١. الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني**، تحقيق عبدالستار فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣، المجلد٣، ص٣.
٢. ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ج٢، ص٣٤٢.
٣. مطاع الصفدي، إيليا حاوي، **موسوعة الشعر العربي**، شركة الخياط للكتب والنشر، بيروت، ١٩٧٤، المجلد الأول، ص٣٨٩.
٤. عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٤، ج١، ص٢٠٣.

(٧) **وقعت كثير من الحروب الأيام والحروب، بين قبيلة الشاعر والقبائل الأخرى في الجاهلية، ولا سيما الخزرج، منها: يوم سمير، والربيع، وبعاث، والحديقة، والفجار، وغيرها، انظر مثلاً:** ابن الكلبي، هشام
(ت ٢٠٤)هـ، **الأيام**، تحقيق أحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط١، ٢٠٠٨، ص٢٠١؛ أبو عبيده، معمر بن المثنى، (ت ٢٠٩)، **كتاب أيام العرب قبل الإسلام**، تحقيق: د. عادل البياتي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٧، ج٢، ص٥٠٣؛ عفيف عبدالرحمن، **الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي، شركة الفجر العربي، بيروت، ١٩٨١، ص١٤٦.**

(٨) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي(ت ٣٢٨ه)، **العقد الفريد**، تحقيق: أحمد أمين وصاحباه، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط٣، ١٩٦٥م، ج١ ص٩٤.

(٩) ابن الخطيم، قيس، **ديوان قيس بن الخطيم**، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م، ص٨٢.

(١٠) ابن الخطيم، **الديوان** ص٨٢.

(١١) ينظر: ابن الخطيم، **الديوان**،
ص٤٩، ٥٠، ٦١، ٧١، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٨، ٩٣، ١٤٢، ١٤٧، ١٦٥، ١٧٦، ٢١٧

(١٢) ينظر: ابن الخطيم، **الديوان**، ص٥١، ٦٩، ٨٠، ٨٨، ٨٩، ٩٦، ١٢٤، ١٤٤، ١٤٢.

(١٣) ينظر: ابن الخطيم، **الديوان**، ص١٤٨، ٢٢١.

(١٤) ينظر: ابن الخطيم، **الديوان**، ص٢٠٠، ٢٠٦، ٢٠١، ١٩٢.

(١٥) ابن الخطيم، **الديوان**، ص٤٤.

(١٦) ذي الزرين: سيف من سيوف كان يعمل فيها شبه الثؤلول.

(١٧) بسر الفحل الناقة: إذا ضربها على غير ضبعة، وضرزبية: عاصية،

(١٨) ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني**، شرح: عبد أ . علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م، ج٩ ص١٠٤.

(١٩) ابن الخطيم، **الديوان** ص٨٠-٨٢.

(٢٠) سامحت: تابعت، وحرب حاطب هي إحدى الحروب بين الأوس والخزرج، وحاطب أحد بني عمرو بن عوف من الأوس، وهي حرب ضروس استمرت فترة طويلة ومن أيامها يوم الجسر، ويوم الربيع، ويوم البقيع، ويوم الغرس. **ينظر**، ابن الأثير، **جمهرة أنساب العرب**، ص٣١٥، والمولى، **أيام العرب في الجاهلية**، ص٦٢-٩٢.

(٢١) اربتُ: كانت لي حاجة في دفع الحرب، والإربة: الحاجة.

(٢٢) مضاعفة: تنسج حلقتين حلقتين، والقتير: رؤوس المسامير لحلق الدروع.
(٢٣) ابن الخطيم، **الديوان** ص١٤٢-١٤٤.
(٢٤) المصاع: القتال والمجالدة.
(٢٥) الهصر: الغمز والجذب.
(٢٦) أطَّت: حنّت، وأطيط الإبل: زفيرها من البطنة، والورد: الإبل الواردة.
(٢٧) ابن الخطيم، **الديوان** ص١٤٧-١٤٩.
(٢٨) عتيد: مهيّأ. ويقال أعدَّ الشيء وأعتده.
(٢٩) التلائل: الأعناق، والتَّعداء: العدو، والقود: الطوال الأعناق.
(٣٠) الفغايا: من الفغا وهو أن يركب النخلة غبار فيغلظ جلد بُسرها ويصير فيه مثل وشي أجنحة الجنادب، والهبيد: أن يؤخذ حب الحنظل فينقع في ماء أياماً ثم يُصبُّ ذلك الماء ويجدّد له ماء آخر حتى تخرج مرارته ثم يطبخ.
(٣١) ربابعة، موسى، **تشكيل الخطاب الشعري: دراسات في الشعر الجاهلي**، دار جرير، عمان، ط١، ٢٠١١م ص١٢٢.
(٣٢) الرفوع، "صورة الحرب في الشعر الجاهلي"، ص١٠٧.
(٣٣) ابن الخطيم، **الديوان** ص١٧٦-١٧٧.
(٣٤) الرفوع، "صورة الحرب في الشعر الجاهلي"، ص١٠٧-١٠٨.
(٣٥) ربابعة، **تشكيل الخطاب الشعري: دراسات في الشعر الجاهلي**، ص١٢٤.
(٣٦) ابن الخطيم، **الديوان، ص ٧٢. الأديان جمع دين وهو الدأب والعادة.**
(٣٧) الرفوع، "صورة الحرب في الشعر الجاهلي"، ص١٠٩-١١٠.
(٣٨) ابن الخطيم، **الديوان**، ص٨١.
(٣٩) ابن الخطيم، **الديوان**، ص٨٠-٨٢.
(٤٠) ابن الخطيم، **الديوان**، ص١٦٤-١٦٥.
(٤١) ربابعة، **تشكيل الخطاب الشعري: دراسات في الشعر الجاهلي**، ص١٢٦.
(٤٢) ابن الخطيم، **الديوان**، ص٩٣.
(٤٣) ربابعة، **تشكيل الخطاب الشعري: دراسات في الشعر الجاهلي**، ص٩٨.
(٤٤) الرفوع، "صورة الحرب في الشعر الجاهلي"، ص١٠٤.
(٤٥) أبو سويلم، أنور، **دراسات في الشعر الجاهلي**، دار الجيل، بيروت، دار عمار، عمان، ص١١٢.
(٤٦) ابن الخطيم، **الديوان**، ص٥٠-٥١.
(٤٧) ممترو الحرب: الذين يستدرونها، وهذا مثل، يقال: مَرَيتُ الناقة: إذا مسحت ضرعها لتدر، وبلّحوا: أعيوا، والأسباد: جمع سبد وهو الذئب والداهية، وهو سبد أسباد: داهية في اللصوصية.
(٤٨) بسر الفحل الناقة: إذا ضربها على غير ضبعة (أي شهوة)، وضرزبية: عاصية،
(٤٩) الرفوع، "صورة الحرب في الشعر الجاهلي"، ص٩٥.
(٥٠) الرفوع، "صورة الحرب في الشعر الجاهلي"، ص٩٤.
(٥١) ابن الخطيم، **الديوان** ص٧٣. ويوم الربيع: وهو أحد الأيام التي اقتتلت فيه الأوس والخزرج . حول هذا اليوم ينظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت ٦٣٠ه)، **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، م١ ص٢٨٣؛ والمولى، محمد أحمد ورفيقاه، **أيام العرب في الجاهلية**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١م، ص٦٢-٩٢.
(٥٢) ابن الخطيم، **الديوان** ص٨٧-٩١. وحرب حاطب نشبت بين الأوس والخزرج. حول هذه الحرب وأيامها ينظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت ٦٣٠ه)، **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، م١ ص٢٧٧؛ والمولى، محمد أحمد ورفيقاه، **أيام العرب في الجاهلية**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١م، ص٦٢-٩٢.
(٥٣) ابن الخطيم، **الديوان** ص١٤٩.

(٥٤) ابن الخطيم، **الديوان** ص٧٣.
(٥٥) ابن الخطيم، **الديوان** ص١١٣-١١٥.
(٥٦) ابن الخطيم، **الديوان** ص١٣٧-١٣٨، وص١٣٠، ص١٧٧، ص١٩٢، ص٢٠١.
(٥٧) ابن الخطيم، **الديوان** ص١٤٦.
(٥٨) انظر: حمدي منصور، **أدوات الحرب في الشعر الجاهلي**، المفضليات الجاهلية أنموذجاً، مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الأول، العدد (١)، ربيع الأول (١٤٣٥، كانون الثاني ٢٠١٤م، ص٣٧.
(٥٩) ابن الخطيم، الديوان، ص٦٢.
(٦٠) حمدي منصور، **أدوات الحرب في الشعر الجاهلي**، ص٣٥.
(٦١) ابن الخطيم، الديوان، ص١٨٤-١٨٥.
(٦٢) ابن الخطيم، الديوان، ص٢٠٠-٢٠١.
(٦٣) حمدي منصور، **أدوات الحرب في الشعر الجاهلي**، ص٢٣.
(٦٤) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، **ربيع الأنوار ونصوص الأخبار**، تحقيق عبدالأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٢، ج٤، ص١٦، **ورشاء المنية: حبلها.**
(٦٥) ابن الخطيم، الديوان، ص٦٩-٧٠.